

نقش تأسيسي لقلعة معان العثمانية في المملكة الأردنية الهاشمية

وائل منير الرشدان* ، طلال بن محمد الشعبان**

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة نقش تأسيسي عثماني من قلعة معان مؤرخ لعام ٩٧١ هـ/١٥٦٣م باللغة العثمانية مهور باسم السلطان العثماني سليمان القانوني. تعني هذه الدراسة بقرأة النص، وترجمته إلى العربية وتحليل مضمونه، مبيّنة أهمية مدلولاته التاريخية والأثرية، وكذلك دراسة العديد من المعطيات الفنية والقيم الجمالية التي يمتاز بها هذا النقش، وإبراز ما اشتمل عليه من ألقاب، ونعوت، وأسماء أعلام.

الكلمات الدالة: القلاع، القلاع العثمانية، النقوش الإسلامية، نقش عثماني

المقدمة

حظيت منطقة شرق الأردن خلال العهد العثماني (١٥١٦-١٩٢١م)، باهتمام السلاطين العثمانيين؛ بسبب موقعها الاستراتيجي الذي يعتبر المعبر الرئيس للأراضي المقدسة-الجزيرة العربية، وفلسطين. فأقاموا فيها العديد من المشاريع العمرانية التي هدفوا من خلالها إلى تأمين طريق الحج، والتجارة، الذي كان يمتد من العاصمة الأستانة، وحتى الديار المقدسة، فشيدوا القلاع، والخانات، والبرك المائية، التي من شأنها خدمة الحجاج، والتجار، وتأمين سلامتهم. Bakhit 1982: p. 52؛ محافظة ١٩٨٩م: ٢٠؛ كلو ١٩٩١م: ٥٦-٥٧).

وهو الأمر الذي أدى بالتالي إلى أن شعوب المنطقة أصبحت تعيش حالة من الانسجام التي انعكست آثارها الايجابية على منطقة بلاد الشام، وأقاليمها، ومدنها، وقد ساعد موقع شرقي الأردن، قلب الدولة العثمانية على الاستفادة من الازدهار التجاري، والمعماري آنذاك، وكان من نتائجه أن اتجه السلاطين إلى إنشاء العديد من العمائر: منها ما كان لتأمين طريق الحج الذي يربط الأستانة بالديار المقدسة، وكانوا بذلك قد عملوا على تأمين، ورعاية القوافل التجارية، أو قوافل الحجيج، وحمايتهم: (العمرى ١٦٤: ١٩٨٦م، رشدان ١٩٩٤م: ١٠، Ghabban ١٩٨٨م: ٦٩-٧٨)، كما انشؤوا القلاع، والخانات، والبرك، وكذلك الطرق، وكل ذلك من أجل خدمة الحجاج، وتأمين سلامتهم (الحمود ١٩٨١م: ٧٦).

من هنا ندرك الأسباب الرئيسة التي دفعت بالعثمانيين إلى الاهتمام بالعمارة في منطقة شرقي الأردن؛ إذ شيدوا فيها العديد من القلاع، وقد أشار الغزي بأن السلطان سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) قد أمر بتعمير قلاع في كل من القطرانة، ومعان في شرقي الأردن، وذات حج، وتبوك في الأراضي الحجازية (الغزي ١٩٤٥م: ١٥٧)، وإن دل ذلك على شيء،

* كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن. ** كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.
تاريخ استلام البحث ١٩/١٠/٢٠١٠م، وتاريخ قبوله للنشر ١٩/١٠/٢٠١١م.

فإنما يدل على اهتمام السلاطين العثمانيين بتأمين قوافل الحج التي كانت تمر في تلك المناطق، وقد زاد اهتمام العثمانيين بهذه المنطقة، في سنة ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨م عندما بدأ العمل بتنفيذ مشروع الخط الحديدي الحجازي، الذي يمتد من الأستانة شمالاً حتى الديار المقدسة جنوباً، وقد اخترق هذا الخط الأراضي الأردنية من شمالها إلى جنوبها، وهو الأمر الذي أدى إلى تواجدها الحاميات العسكرية للوقوف في وجه الهجمات التي كان يقوم بها بعض من القبائل البدوية القريبة من هذا الخط ضد قوافل الحج (كرد على ١٩٧١م: ج٦: ١٨٥؛ موسى ١٩٨٢م: ١٣٣؛ ٧٥: Barbir 1980)، فكان لهذه الحاميات دور ايجابي في تأمين طريق موصلات حيوى وآمن (الطراونة ١٩٩٢: ٣٦٥؛ الماضي ١٩٩٦م: ١٠٢؛ خريسات وآخرون ٢٠٠٠م: ١١٤).

وقد راعى العثمانيون عند بناء هذه القلاع شروطاً معينة، كقربها من مصادر المياه، لذا قاموا ببناء بعض البرك، والخزانات المائية، التي تعمل على تجميع مياه الأمطار في فصل الشتاء لاستخدامها لاحقاً في تزويد قوافل الحجيج بالمياه، وكذلك تزويد القاطرات البخارية بالمياه اللازمة في أثناء مرورها (عبيدات ١٩٩٨م: ١٢؛ رشدان ٢٠٠٨م: ١٣٨). وقد واجه الباحثون عدة مشكلات من أهمها عدم توافر الوثائق (الحجج أو الوقفيات) الخاصة بالآثار الإسلامية بصفة عامة، والقلاع التي في الأردن بصفة خاصة، كل ذلك أدى إلى صعوبة في الوصول إلى تاريخ إنشاء هذه القلاع، باستثناء عدد قليل منها مثل قلعة معان. ولهذا يعتبر النقش التأسيسي لقلعة معان هو النقش الوحيد الذي وجد في الأردن بالخط العثماني، الذي يعود إلى عصر السلطان سليمان القانوني، ولهذا ارتأينا دراسة هذا النقش، وتحليل نصوصه، ومقارنتها ببعض النقوش المعاصرة. علماً بأن نقش قلعة معان ليس مدروساً، ولم يتطرق له أحد سوى بالذكر، وتاريخ البناء، ومنهم السرياني (١٤٢٥هـ/١١٤٩م)، والحمود، وأبو دية، وباربير (Barbir)، وبني يونس وغيرهم (الذين أشاروا إلى أن تاريخ بناء القلعة يعود لعام ٩٦٧هـ/١٥٥٩م (الغزي ١٩٥٨م: ١٥٧؛ الحمود ١٩٨١م: ٤٤-٨٤؛ أبودية ١٩٨٤م: ٤٤؛ بني يونس ١٩٩٧م: ٨٧؛ السرياني ١٤٢٥: ١٤٩؛ Barbir 1980: 196-197)، وقد اعتمد العديد منهم على ما جاء به الغزي، الذي أشار إلى "وصول أمر شريف من قبل المرحوم السلطان سليمان إلى دمشق، بتعمير قلاع بطريق الحج الشامي وتعيين سنجق لكل قلعة، وفي صحبته سباهية (الفرسان) (بني يونس ١٩٩٧م: ٢٠٣) ومعلمون وفعول، ومعهم ما يكفيهم من الزاد، واحدة في القطرانة، وثانية بمعان، وثالثة بذات حج، ورابعة بتبوك. فعمرت كما أمر، وبقي الانتفاع بها" (الغزي ١٩٥٨م: ج٣: ١٥٧)، وهذا يخالف ما جاء في النص التأسيسي كما اتضح لنا من خلال تحليل نهاية النقش بحساب الجمل في حاصل جمع القيمة العددية للحروف، وهو سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣م، تاريخ الانتهاء من بناء هذه القلعة. كما هو واضح في النص، فإن التاريخ رقماً هو يغاير تاريخ إصدار الفرمان أو الأمر السلطاني بتعمير هذه القلاع، ولكن النص التأسيسي يشير بوضوح تام إلى عام ٩٧١ هـ/١٥٦٣م (لوحة ٨)،

وهو تاريخ انتهاء بناء هذه القلعة^١.

موقع النقش

هذا النقش في قلعة مدينة معان، وقائم فوق مدخلها الرئيس الكائن في الجهة الجنوبية الشرقية، والقلعة تقع إلى الجنوب من مدينة عمان، وتبعد عنها حوالي ٢١٦ كم، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ١٠٧٤ متراً (خريطة ١). وموقع القلعة الحالي في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة معان، وتعتبر مدينة معان إحدى محطات الحج، حيث كانت تستريح فيها القوافل مدة يومين أو ثلاثة، وجاء على ذكرها معظم الرحالة الذين كتبوا عن رحلات الحج الشامي (السرياني ١٤٢٥ هـ: ١٤٨ - ١٤٩)، وكذلك العديد من الجغرافيين، مثل: الأصطخري، وياقوت الحموي، وابن بطوطة، وأبي الفداء، وغيرهم (أبو دية، ١٩٨٤ م: ٣٤-٣٧)، وكذلك أشار إليها بيركهات الرحالة السويسري عندما زار المنطقة، فقال "إن الحجاج يقبلون على شراء الرمان والخوخ ودراق معان بشغف كبير، في الوقت الذي تقبل حيواناتهم على الأعشاب البرية التي يجمعها الأهالي" (بيركهات ١٩٦٩ م: ١٥١)، وهذا دليل على موقع معان الاستراتيجي، ودورها في تزويد القوافل المتجهة، والعائدة من الديار المقدسة، وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي نالت مدينة معان اهتمام العثمانيين، فتم تحويلها إلى لواء مركزه المدينة (أبو دية ١٩٨٤ م: ٤٠)، وأصبحت هذه المدينة فيما بعد إحدى محطات الخط الحديدي الحجازي (السرياني ١٤٢٥ هـ: ١٤٨-١٤٩، الشكل ٤، ووثيقة ١؛ خريسات وآخرون ٢٠٠٠ م: ١١٦)، وقد استخدمت في السابق مركزاً للشرطة، وتستخدم هذه القلعة حالياً مكتباً لمديرية الثقافة، والشباب، ومكاتب لدائرة الآثار العامة، وهي من القلاع التي أدخلت عليها العديد من التعديلات، والتغييرات في شكلها، وتصميمها العام. (خارطة ١)

التسمية: معان: المعان: "المبأة والمنزل، أو هو حيث تحبس الخيل والركاب، هم بمعان منك حيث تراهم عينك" (نصير ١٩٩٢-١٩٩٣ م: ٥٠٣).

الوصف المعماري

"تتخذ القلعة مساحة مربعة المسقط طول ضلعها ٢٣.٦٠ م بارتفاع حوالي ٩ م. وهي مبنية من الحجارة الجيرية المشذبة المتقنة الصنع. وتتكون من طابقين، ويقع مدخلها الرئيس في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة، ويبلغ ارتفاعه ٢.١٠ م، واتساعه ١.٤٠ م (لوحة ١)، ويعلو الباب ثلاثة عناصر زخرفية محفورة في الحجر الجيري، الأول منها: عبارة عن حشوة حجرية (جامة)

١. ولهذا ارتأينا تقديم قراءة لهذا النقش وترجمته للغة العربية، وتحليل مضمونه، وتقديمه بدراسة منفردة، نتقدم بجزيل الشكر، والعرفان إلى زميلنا وليد العريض الأستاذ المشارك في قسم التاريخ في جامعة اليرموك، المتخصص في دراسة المحفوظات والمخطوطات العثمانية، على تفضله بمراجعة البحث، الذي كان له أكبر الأثر في إخراج هذه الدراسة، كما نتقدم بالشكر من زميلنا مشلح المريخي، الأستاذ في قسم الآثار في جامعة الملك سعود، ومحمد ابو عبيدة على ملاحظتهما القيمة.

مستديرة غائرة يبرز من مركزها نتوء بارز ذو تضليعات مائلة، ينطلق من أسفله زخرفة أشبه بقشور السمك يزيد اتساعه كلما اتجهت إلى الخارج (لوحة ٢).

أما العنصر الثاني: فهو عبارة عن النقش التأسيسي للقلعة، يتكون من أربعة سطور باللغة العثمانية، وكل سطر من سطور هذا النقش مقسوم إلى جزأين بواسطة خراطيش حجرية (لوحة ٣).

وصف اللوحة العلوية: حشوة مستطيلة عرضيا تتكون من إطار ومثن: الإطار تزخره خطوط متكسرة على هيئة الدالات (الزقزاق). أما المثن فهو عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها مربعان متقاطعان يكونان نجمة ثمانية الرؤوس يتوسطها الحشوة المستديرة الغائرة (التي سبق وصفها)، وعلى كل جانب من الجانبين العرضيين للمساحة المستطيلة زخرفة أشبه بحرف (م) (M) اللاتيني: تتوسطه دائرتان صغيرتان بارزتان، يكتنفه من أعلى حشوة مستديرة يتوسطها وريدة ملتفة، وجدت على المعادن المملوكية، وخاصة في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أحد سلاطين المماليك البحرية، الذي حكم لثلاث فترات (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م، ٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٩م، ٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م، وأسفلها حشوة مستديرة يتوسطها وريدة سداسية البتلات (لوحة ٤).

وتم فتح باب جديد (مستحدث) في الجهة الشمالية الشرقية للقلعة، يتوسط القلعة ساحة سماوية مكشوفة (اللوحة ٥)، والطابق الأرضي (الشكل أ) يتكون من ثماني غرف مغطاة بأقبية برميلية، والطابق الأول (الشكل ب) يصعد إليه بواسطة درج يؤدي إلى ممر تحيط به ست غرف، خمس منها مغطاة بأقبية برميلية، والغرفة الأخيرة مغطاة بأقبية متقاطعة، وكانت تستخدم كمصلى، ويتوسط الجهة الجنوبية الشرقية من هذا الطابق غرفة مستطيلة الشكل، وبجوارها درج يؤدي إلى سطح القلعة، وإلى الشرق من القلعة، يوجد بركة للماء، وقنطرة، وهناك قناة مغطاة تؤدي إلى البساتين المجاورة.

جاءت قراءة النقش (النص التأسيسي) للقلعة باللغة العثمانية، بصيغة:

شاه جهانك هفت إقليم عثمان أوغليتك خير ضمير ايد ثيمية الهام لدى رحمان.

.... قباد باشا قوليله عسكر شاميه معان ايلدي بر برج وبركة نامنى فرمان.

بريقن تبرك معمو ادوب بحمد الله يغمر اولوب حجاج راعي بد نهر خير وراهى خدن.

بواحقر كتابت يابمي يكون ديدي تاريخت معان يابدي برج بركةء سلطان سليمان سنه ٩٧١
(اللوحتان ٣، ٨ ؛ شكل ٢)

وترجمته إلى العربية كما يلي:

بالهام من الرحمن أصدر سلطان العالم، والأقاليم السبعة صاحب الخيرات سليل آل عثمان.
.... قباد باشا بتسيير فول عسكر الشام إلى معان لبناء برج، وبركة.
و لقد تم بناء هذا الخير المبارك، وهطل المطر بحمد الله، وبدأ جريان نهر الخير على طريق
الحجاج.
أرخ لهذا العمل كاتبكم الحقيير سلطان سليمان سنة ٩٧١هـ (اللوحتان ٣، ٨؛ الشكل ٢).

دراسة وصفية تحليلية للنقش:

وصف النص: لغة النص عثمانية بالخط العربي، وقد نفذ بطريقة الحفر البارز المفرغ على
لوح من الحجر الجيري، أبعاده:

طول النقش ٦٦سم، ٠م.

عرض النقش ٣٨سم، ٠م.

طول السطر ٦٤سم، ٠م.

عرض السطر الكتابي ٨سم، ٠م.

الفصل بين السطور ٨سم، ٠م.

حالة النقش جيدة، ولكن هناك جزء صغير مفقود في بداية السطرين الثاني والثالث.

التحليل العام لمضمون النقش:

يتكون النقش من أربعة سطور، نفذ كل منها على خرطوشين متتابعين، ونقشت للإعلان عن
أمر تشييد القلعة بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني:
السطر الأول: يتضمن الأمر الذي أصدره السلطان سليمان الأول (سليمان القانوني)، وكان
يُلقَّب بِـ (سلطان العالم، والأقاليم السبعة)، والإشادة بنسبه بأنه سليل آل عثمان، وهو صاحب
الخيرات.

السطر الثاني: يتضمن الأمر المحتمل الصادر من السلطان إلى "سليمان باشا" بن قباد باشا
بتسيير عسكر الشام لبناء برج (قلعة) وبركة في معان.

السطر الثالث: إتمام البناء والإشارة إلى أنه خير مبارك، وهناك تأكيد بدء هطل الأمطار
وجريان نهر الخير للحجاج، وذلك للدلالة على بركة المياه التي تم إنشاؤها.

السطر الرابع: تاريخ بناء القلعة (البرج) البركة، متضمناً اسم السلطان سليمان، وتاريخ البناء
على حساب الجمل، متبوعة بكتابة التاريخ رقماً (سنة ٩٧١هـ).

وفهم من مضمون هذا النص أن السلطان سليمان القانوني أمر ببناء برج، وبركة في مدينة
معان، وأمر والي دمشق أو قائد الجيش في الشام سليمان باشا بن قباد باشا بذلك، وتم بناء هذا
البرج (القلعة)، والبركة في عام ٩٧١هـ. وهذا النص صريح بأنه نص تشييد، وبناء لهذه القلعة
(البرج)، وهناك العديد من الإشارات التاريخية التي ذكرت بأن السلطان سليمان القانوني أمر ببناء
قلعة في مدينة معان، وقد ذكرها الدمشقي في كتابة المواكب الإسلامية، فأشار إلى مدينة معان،

وقلعتها التي أمر ببنائها السلطان سليمان القانوني في عام ١٥٦٣م حصناً لضمان سلامة الحجاج (الدمشقي ١٩٩٣م، ج٢: ٣٥٣؛ الغزي ١٩٥٨م: ١٥٧) ويتضح أيضاً (من خلال النص) أن السلطان سليمان أمر ببناء هذا البرج (القلعة) لتأمين سلامة الحجاج، والصعوبات التي كان يواجهها الحجاج من غزوات، وهجمات القبائل البدوية على قوافل الحجاج على طريق الحج الشامي، وكذلك أمر بإنشاء بركة لتجميع مياه الأمطار، وذلك لتزويد الحجاج بالماء اللازم لهم خلال رحلتهم إلى الديار المقدسة.

الألقاب والنعوت الواردة في النقش:

لقد وردت العديد من الألقاب، والنعوت في النقش، منها ألقاب اختص بها السلاطين العثمانيون، وهناك ألقاب اختص بها كبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين.

- ومن أهم الألقاب السلطانية لقب سلطان العالم، والأقاليم السبعة. فهذا اللقب من الألقاب المركبة (الباشا ١٩٧٨م: ٦٣)، فلقب سلطان العالم، والأقاليم السبعة ورد هذا اللقب علي لسان المعماري سنان باشا يمدح السلطان مراد الثالث (١٥٦٦-١٥٧٤م) ابن سليم الثاني (١٥٧٤-١٥٩٥م)، قائلاً "من هو أنه السلطان عالي القدر، وهو السلطان المفخم صاحب القلب، وهو ظل الله وسلطان الأقاليم السبعة، أي السلطان مراد ابن السلطان سليم، الذي جرد جيوشه ضد الشيعة، وفي النهاية مات في بيته". (جودت بك ١٣١٥هـ: ٤٨). والأقاليم السبعة هي ممالك شيروان، مسقط، وقلاع قارص، وقلاع وروان، وحامي قيتان، وتطلق هذه الكلمة على القسم الشمالي من الصين، والنواحي الشرقية من مغولستان، وتركستان (شمس الدين سامي، قاموس الأعلام ج٣، ص٢٠٤٩؛ محمد جاد ١٩٨٤م، ص١١٦).

- لقب باشا، وهو لقب قائد حامية دمشق كما هو وارد في النص، وهو من الألقاب الفخرية (بركات ٢٠٠٠م: ٨٠)، وقد وردت في اشتقاق هذا اللقب العديد من الفرضيات: أولها تقول إن أصلها يعود إلى اللغة الفارسية (باي شاه)، ومعناها قدم الملك على اعتبار أن كسري كان يعتمد على عدد من الأعوان عرفوا باسم عيون الملك (بركات ٢٠٠٠م، ٨٠)، والثانية تقول إن أصلها تركي (باش)، ومعناها رأس، أو طرف، أو قمة، أو زعيم، أو قائد، أو البداية، أو القاعدة، أو الأساس، وتوضع قبل الوظيفة، أو المهنة، مثل: باش كاتب، أو في آخرها مثل: حكيم باشي، وفي هذه الأخيرة يتم إضافة ياء بالشين، وهي ياء الإضافة في اللغة العثمانية لتعني رئيس الحكماء أو رئيس الأطباء، والثالثة تقول: بأن أصل التسمية، أو الاشتقاق من كلمة (باشكال)، ومعناها حاكم عسكري، وقد استخدم اللقب كلقب عسكري بمعنى كبير الأغوات، وكذلك استخدم لقب باشا كلقب فخري رسمي تقتضيه مكانة الشخص في المجتمع يرتبط بالمدنيين، والعسكريين. فقد وجد هذا اللقب في الديوان الهمايوني في الدولة العثمانية يفتنر باسم أصحاب الرتب المدنية، منهم الوزير، روم أيلي، ميرميران، أمير الأمراء، ويقابلها الرتب العسكرية من رتبة مشير، وفريق أول، فريق، لواء (بركات ٢٠٠٠م، ٨٠). وفي نهاية العصر العثماني أصبح يعطي لكل من تريد السلطة

استمالتة، وكسب تأييده وولائه. (الغبان ١٩٩٢-١٩٩٣م: ١٢٨؛ المريخي ٢٠٠٢م: ١٠٨-١٠٩)،
 - **الحقير:** وهو من ألقاب التواضع، والتذلل إلى الله سبحانه وتعالى (بركات ٢٠٠٠م: ٢٢٩)
 وهذا اللقب أطلقه كاتب النقش على نفسه في السطر الأخير من النقش.

الأعلام الواردة في النص:

- **السلطان سليمان خان الأول (القانوني)،** وهو ابن السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م)
 الملقب بإوزاي المرعب، ولد هذا السلطان في غرة شعبان سنة ٩٠٠ هـ/ ٢٧ إبريل سنة ١٤٩٤م
 (فريد ١٩١٢م: ٧؛ كلو ١٩٩١م: ٦١)، وهو عاشر ملوك آل عثمان، واستلم السلطة يوم ١٦ شوال
 ٩٢٦ هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٥٢٠م بعد وفاة أبيه، ولذلك اجمع المؤرخون على اعتبار أن السلطان
 سليمان القانوني هو عاشر سلاطين آل عثمان، (محمد فريد ١٩١٢م: ٧٩). وتوفي السلطان
 سليمان القانوني في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ/ ٥ سبتمبر لعام ١٥٦٦م (فريد ١٩١٢: ١٠٧؛
 كلو ١٩٩١م: ٤٦٥)، عن عمر يناهز أربع وسبعين سنة، ودامت مدة حكمه ٤٨ عاماً، وكانت هذه
 المدة مرحلة مميزة للدولة العثمانية، وذلك من خلال الفتوحات التي قام بها، والأنظمة والقوانين
 التي أعدها، التي استحق عليها لقب القانوني (فريد ١٩١٢: ١٠٨؛ كلو ١٩٩١م: ١٢٧-١٣٤)، وبعد
 وفاته استلم الحكم من بعده ابنة السلطان سليم خان الثاني (فريد ١٩١٢م: ١٠٩).

- **سليمان باشا ابن قباد:** هو سليمان باشا ابن قباد باشا ابن رمضان (باشا)، كما جاء في الغزي
 (الغزي ١٩٥٨م، ج ٣: ١٥٧-١٥٨)، يشير الغزي "إلى أن نسبه يعود إلى أمراء السلاجقة"،
 وولي نيابة القدس الشريف، ثم تولي نيابة جرجة من معاملة مصر، ثم نيابة بغداد، وبعدها نيابة
 قرمان، ثم قدم دمشق سنة ١٥٨٢م محافظاً بها عوضاً عن نائبها، أويس باشا، وقتل ليلة الخميس
 العاشر من رجب سنة سبع وتسعين وتسعمائة هـ/ ١٥٨٢م، ودفن في سفح قاسيون بالقرب من
 سيدي أبي بكر ابن قوام "الغزي ١٩٥٨م، ج ٣: ١٥٧-١٥٨"، وهنا نجد أن هذا الوالي لم يكن
 والياً في مدة بناء القلعة، ولكن ربما كان قائد الحامية العثمانية في دمشق، الذي قام بتنفيذ فرمان
 السلطاني لسلطان سليمان القانوني ببناء بعض القلاع في الأراضي الأردنية، وفي شمالي الجزيرة
 العربية. ويرجح الباحث أن سليمان هو المقصود في النص، وذلك لأن هذا الجزء من النص
 تعرض للتدمير وباقي حرف النون في بداية السطر.

- **قباد باشا بن خليل بك الرمضاني:** هو قباد باشا بن خليل بك بن رمضان القرماني أمير
 الأمراء بحلب إبان حكم السلطان سليمان القانوني، تولى مدينة حلب بعد أخيه بيريك بن خليل
 الرمضاني في عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٣م، وبقي والياً عليها حتى ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦م (الحلي ١٩٨٨م:
 ١٧٢-١٧٣).

الدراسة التحليلية لخصائص الخط الفنية:

نفذ النقش بخط الثلث المركب على دورين، وثلاثة، وأربعة بطريقة النحت البارز المفرغ على
 لوح من الحجر الجيري كالحجر المستخدم في بناء قلعة معان الذي يطلق عليه (حجر معان).
 وتتكون مسطرة النقش من أربعة سطور، وضع كل سطر منها في إطارين مستقلين (خرطوش)

ويبدو أن لمضمون النقش، وطبيعة البناء أثراً واضحاً في تفضيل نقشه على قطعة واحدة من الحجر لتثبت على واجهة القلعة، لتؤدي وظيفة التعريف بالبناء، وتسجيل اسم السلطان العثماني القائم على عمارتها، لتكون شاهداً مادياً محسوساً على إنجازاته، وتعطي انطباعاً سريعاً عن تاريخ الإنشاء، وطبيعة البناء، وأما الوظيفة الأخرى فهي زخرفية.

نفذ النص بلغة عثمانية، وبخط عربي وزعت كلماته على السطور داخل خراطيش، ومن منطلق المحافظة على التوازن، وسد الفراغ استخدم النقاش بعض علامات الإعراب (التشكيل) جنباً إلى جنب مع بعض العلامات المتبعة عادة في زخرفة خط الثلث لسد المساحات الخالية بين الحروف، حيث جرى تنسيق العناصر الزخرفية، وقوام زخرفتها شكل هلال، وقلب من خلال بسط هذه الأشكال في المساحات المخصصة لها.

ويعد هذا النوع من الخطوط من أكثر الخطوط العربية صعوبة من حيث القواعد، والإنجاز (المسعود ١٩٨١م: ٥٩) إلا أنه يمتاز بالمرونة، وإمكانية سحب الحروف، والكلمات المكتوبة بعضها فوق بعض، وتقديم الحرف عن موقع ترتيبيه في الكلمة. وأصبح هذا النوع من الخطوط المفضل في النقش على المواد الصلبة كالأحجار، وغيرها لتأدية الأغراض التذكارية (جمعه د.ت: ٦٢-٦٣؛ أبو عبيدة ٢٠٠٧م: ٥٣-٦٢).

وتعود بدايات ازدهاره إلى العصر السلجوقي، وانتشر استعماله على شتى أنواع الآثار، والتحف الفنية الإسلامية، وشاع استخدامه في العصر المملوكي، والعثماني، وأطلق عليه (خط النسخ المملوكي). (Wiet 1971: 71-72؛ زين الدين ١٩٧٤م 308-309)، ويمكن ملاحظة جملة من صور الإبداع الفني في هذا النقش، ومن هذه الصور:

* أن النقاش استفاد من التسهيلات التي تتيحها قواعد خط الثلث (القلقشندي، د.ت، ج ٣: ٥٨-١١٤)، كجواز تركيب الحروف، أو الكلمات فوق بعضاً. فنجد في السطر الأول يضع كلمة فوق الأخرى، مثل: شاة جهانك، هفت اقلیم، خير ضمير، ثمينة الهام، وفي السطر الثاني: كلمة قبلاً: باشا، قوليله، آيلدي بر، نافي فرمان، وفي السطر الثالث: كلمة بريقن تبرك، معمو آدوب، بحمد الله يغمر، أولوب حجاج، راعي بد، راهي خدم، وفي السطر الرابع: كلمة بواحقر كتابت، ديدي تاريخ، معاني يابدي، بركة ی سلطان، سنت سليمان (اللوحة ٣؛ الشكل ٢)

* ومن صور الإبداع الأخرى: أن النقاش حرص على نقاط الأعجام التي نفذت على هيئة إما تامة التدوير، أو مربعة (الشكلان ٣، ٤).

نفذ النقاش شكل الألف المطلق للألفات التي تقع في بداية الكلمة؛ حيث يبتدئ في أعلاه بنقطة من نفس عرض الحرف، ويقل عرضه تدريجياً حتى يصبح مدبباً في نهايته السفلى (القلقشندي، د.ت ج ٣: ٧٢)، أما الألف المشبوبة مع غيرها، سواء أكانت وسط الكلمة، أم في نهايتها، فقد جاءت نهاية الحروف العليا بسطح عريض، وأما حرف الباء، فقد حرص النقاش على إظهاره بشكل منتصب، ومنسطح، وفي التاء المتطرفة فضل استخدام التاء المجموعة في كلمة (كتابت) في السطر الرابع، والتاء المنسوحة في كلمة تبرك في السطر الثالث.

* تلويح حرف الجيم في كلمة جهانك في السطر الأول أ (القلقشندي، د.ت ج ٣: ٦٥)، أما الجيم المفردة فنجد أن النقاش اختار شكلين من صورها هو شكل الجيم المرتقاء المرسل في كلمة برج في السطر الثاني، وأما الصورة الثانية رسمت الجيم في نهايتها برأس رتقاء (مغلقة)، واستدارة مرسل في عقدها، وحنيتها في كلمة حجاج في السطر الثالث وكلمة برج في السطر الرابع.

* ورسم حرف الدال بشكل منكب ومنسطح. أما في الدال المركبة فاقصر على الدال المجموعة.

* واختار من صور الراء المدغمة التي تنتهي بعكفة تصعد للأعلى، والمنسطحة التي تنفذ على خط استواء السطر.

* ومن صور السين، والشين اختار النقاش المحققة (المسننة).

* ومن صور العين، والغين اختار العين المبتدئة الملوزة، والعين، والغين الوسطى المفتوحة.

* ومن الصور الإبداعية الأخرى تدوير رأس القاف، واستخدام القاف المتطرفة المجموعة.

* ومن صور اللام ظهرت في النقش اللام المحققة.

* وفي حرف الميم استخدم المفتولة المختمة.

* ومن صور النون اختار المبسوطة، والمجموعة.

* وفي حرف الهاء نجد النقاش قد رسم الحرف في وسط الكلمة يتكون من طرفين بشكل حلقتين، إحداها فوق الأخرى السفلى منهما بيضوية الشكل تقريباً، والعليا أكبر منها قليلاً ومدببة في أعلاها، وتسمى الهاء الملوزة، ويظهر هذا الإبداع في كلمة (جهانك).

أما في حالة رسم الهاء النهائية نجد النقاش قد استخدم الهاء المعراة، ويظهر هذا في كلمة شاه، واستخدم كذلك صورة أخرى من صور الهاء: وهي الهاء المخطوفة في كلمة شامية، قوليلة، بركة وفي لفظ الجلالة.

* وفي حرف الواو استخدم الواو المجموعة

* وأخيراً في حرف الياء استخدم المفردة المجموعة، والمركبة المحققة (عيفي ١٩٩٢م: ٢٦٤-٢٤٨).

ومن الصور الإبداعية الأخرى استخدام الأرقام في كتابة التاريخ، وهو أمر شاع استخدامه قبيل هذه المدة، واستمر بعده (اللوحة ٨؛ الشكل ٢).

الدراسة المقارنة

من خلال دراسة هذا النقش فنجد أن النقاش استخدم خط الثلث العربي المركب في كتابة هذا النقش، وباللغة العثمانية، وبخط عربي. وقد شاع استخدامه في العصر العثماني في تزيين جدران العماير العثمانية، وفي كتابة النصوص التأسيسية، والتذكارية، ويعد هذا النقش من النقوش النادرة في منطقة الأردن التي تم رصدها، وتسجيلها بلغة عثمانية. ومن الأمثلة الدالة على هذا النوع من

الخطوط، الذي يعود إلى الفتره نفسها النقش التأسيسي في جامع سليمان باسطنبول (الشكل ٥) ومن الأمثلة الدالة الأخرى النقش الذي عثر عليه في بلدة مويلح على طريق الحج المصري الساحلي في إحدى آبارها القديمة، يتضمن تاريخ إنشاء البئر ٩٦٧ هـ/١٥٦٠ ميلادي، وعلى نفقة أمير الحج المصري آنذاك عثمان بن ازدمر باشا زمن السلطان سليمان القانوني. وهذا النقش معاصر للنقش موضوع البحث، وقد كتب بخط الثلث العربي المركب، وبالأسلوب نفسه الأسلوب على لوح من الرخام يتضمن آيات قرآنية، والدعاء لبانيه (الشكلان ٦، ٧).

تاريخ بناء القلعة:

عند الرجوع إلى النصوص التاريخية نجد أن السلطان سليمان القانوني أصدر فرماناً ببناء عدة قلاع في كل من القطرانة، ومعان، و ذات حج، وتبوك، وكان ذلك في عام ٩٦٧ هـ/١٥٥٩م، وذلك استناداً على ما جاء به الغزي (الغزي ١٩٥٨م: ج ٣، ١٥٧)، واعتمد عليه الباحثون المحدثون في تحديد تاريخ القلعة، وعند الرجوع للنقش التأسيسي، نجد ان نهاية الخرطوش السابع، والثامن هناك نص بحساب الجمل تبين أن مجموع الكلمات (معان بايدي برج بركة سلطان سليمان) يطابق التاريخ الموجود رقماً ٩٧١ هـ/١٥٦٣م، وهنا نجد أن التاريخ المثبت على النقش التأسيسي هو تاريخ الانتهاء من بناء القلعة، وليس تاريخ إصدار فرمان.

المراجع والمصادر

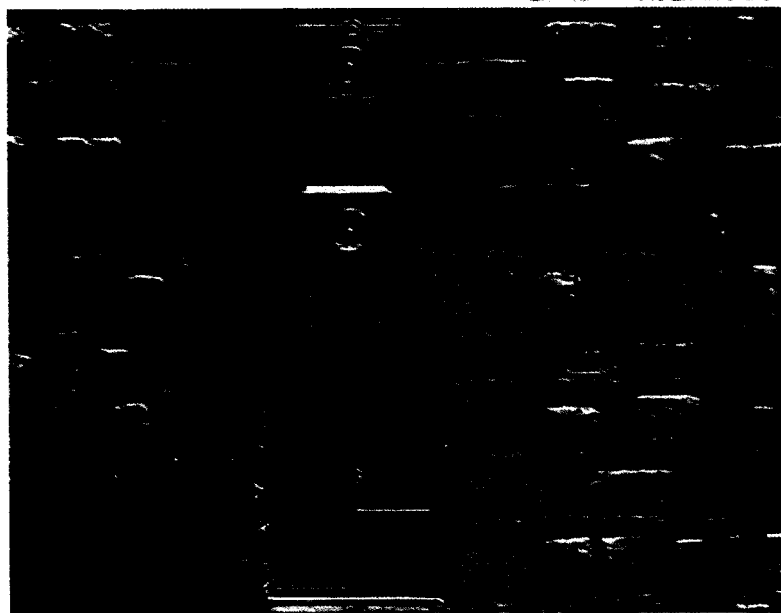
أ. العربية

- أبو دية، سعد، معان دراسة في الموقع، عمان، ١٩٨٠م.
- أبو عبيدة، محمد، نقش تأسيسي أيوبي من قلعة عجلون. مجلة النقوش والرسوم الصخرية، العدد الأول، عمان، دائرة الآثار العامة، ٢٠٠٧م.
- بركات، مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٠م.
- بني يونس، مأمون أصلان، قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني، مؤسسة حمادة ودار الكندي، عمان، ١٩٩٧م.
- بيركهارت، رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ج٢، ترجمة أنور عرفات، مراجعه شكري الهندي، حسني فريز، عبدالرحمن بشناق، المطبعة الأردنية، دار الثقافة والفنون، عمان، ١٩٦٩م.
- جودت بك، أحمد، تذكرة البنين، تحقيق أحمد جودت، استانبول، ١٣١٥هـ.
- جمعة، إبراهيم، قصة الكتاب العربية سلسلة اقرأ، ط٤، دار المعارف، دم، دت.
- الحلبي، محمد راغب الطباخ، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٣، دار القلم العربي، الطبعة الثانية، حلب، ١٩٨٨م.
- الحمود، نوفان، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ط١، دار الأفق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدا لله ياقوت، (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) معجم البلدان، خمسة أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- خريسات، محمد؛ السوارية، نوفان؛ محافظة، محمد؛ هزيمة، عصام، محاضرات تاريخ الأردن وحضارته، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، اربد، ٢٠٠٠م.
- الدمشقي، محمد بن عيسى بن كنان الصالح، (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق ودراسة حكمت إسماعيل، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٢م.
- الرشدان، وائل، معالم الحضارة الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ١٩٩٤م.
- الرشدان، وائل، القلاع العثمانية في جنوب الأردن، دراسة معمارية وصفية، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٢٤، العدد الأول، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨م.
- زين الدين، ناجي، مصور الخط العربي مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٤م.
- سامي، شمس الدين، قاموس الأعلام، ستة أجزاء، جزء ٣، استانبول.
- السرياني، محمد محمود، منازل الحج الشامي في الأردن، دراسة في الجغرافيا التاريخية، مجلة الدارة، العدد الأول، ١٤٢٥هـ.
- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة ٤٣، الرياض، ٢٠٠٠م.
- الطراونة، محمد سالم، تاريخ منطقة معان والبلقاء والكرك ١٢٨١-١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤-١٩١٨م، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٢م.
- عففي، فوزي، خط الثلث تطوره وجماليته ووسائل تجويده، مكتبة ممنوح، طنطا، ١٩٩٢م.
- العمري، شهاب الدين أبي العباس احمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤١م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢، ط٢، المركز الإسلامي للبحث، بيروت ١٩٨٦م.
- الغبان، على، شمال غرب المملكة العربية السعودية، الكتاب الأول، بحوث في التاريخ والآثار، الطبعة

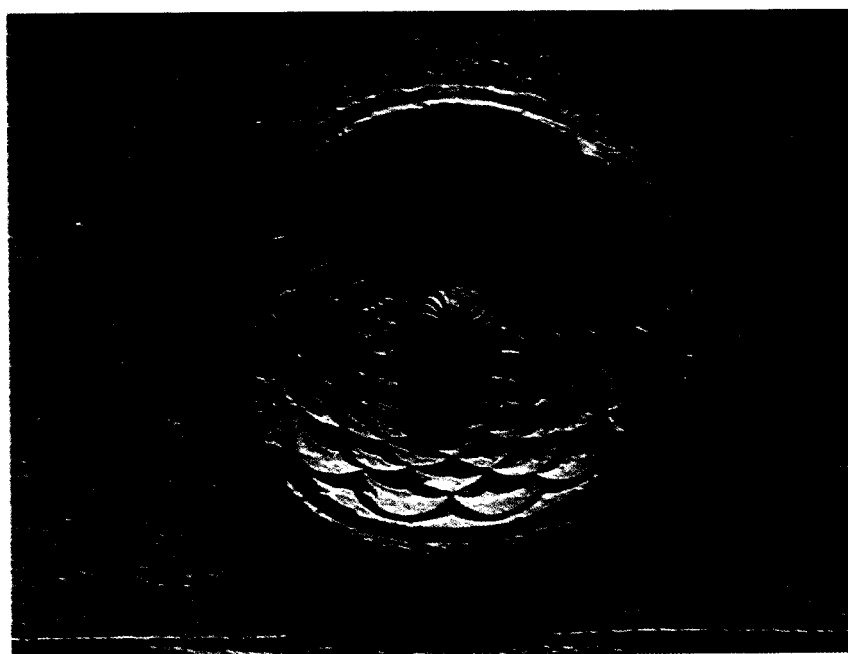
- الأولى، الرياض، ١٩٩٣م.
- الغبان، علي، نقش غير منشور من بلدة المويلح مؤرخ بعام ٩٦٧ هـ/١٥٦٠م دراسات في الآثار، الكتاب الأول، بحوث علمية محكمة، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف، الرياض، ١٩٩٢م.
- الغزي، (نجم الدين) حمد بن محمد (ت ١٠٦١ هـ/ ١٦٥٠م)، الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة، ج٣، تحقيق جبرائيل جبور، بيروت، منشورات جامعة بيروت الاميركية، المطبعة البولسية، حريصا، ١٩٥٨م.
- فريد، محمد (المحامي)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩١٢م.
- الفلقشندي، شهاب الدين ابوالعباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ج٣-٦، القاهرة، د.ت.
- كرد علي، محمد، خطط الشام، ج٦، بيروت، ١٩٧١م.
- كلو، اندري، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١ م.
- محمد جاد، محمد السيد، تذاكر المعماري سنان، دراسة وترجمة إلى العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الماضي، منيب؛ الموسى، سليمان، تاريخ الأردن في القرن العشرين، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٦م.
- محافظة، علي، تاريخ الأردن المعاصر: عهد الإمارة ط٢، مركز الكتب الأردني، عمان، ١٩٩٠ م.
- المريخي، مشلح، نقش تأسيس عثماني من حي القلعة بالقطيف مؤرخ في عام ١٠٣٩ هـ، مجلة العصور، المجلد ١٢، الجزء الثاني، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٢م.
- المسعود، حسن، الخط العربي. دار نشر فلاماريون، باريس، ١٩٨١م.
- موسى، سليمان، ترجمة، رحلات في الأردن وفلسطين، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٤م.
- نصير، ركاد علي، معجم المعاني اللغوية لأسماء المدن والقرى وأحواضها في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ١٩٩٢/١٩٩٣م.

ب. الأجنبية

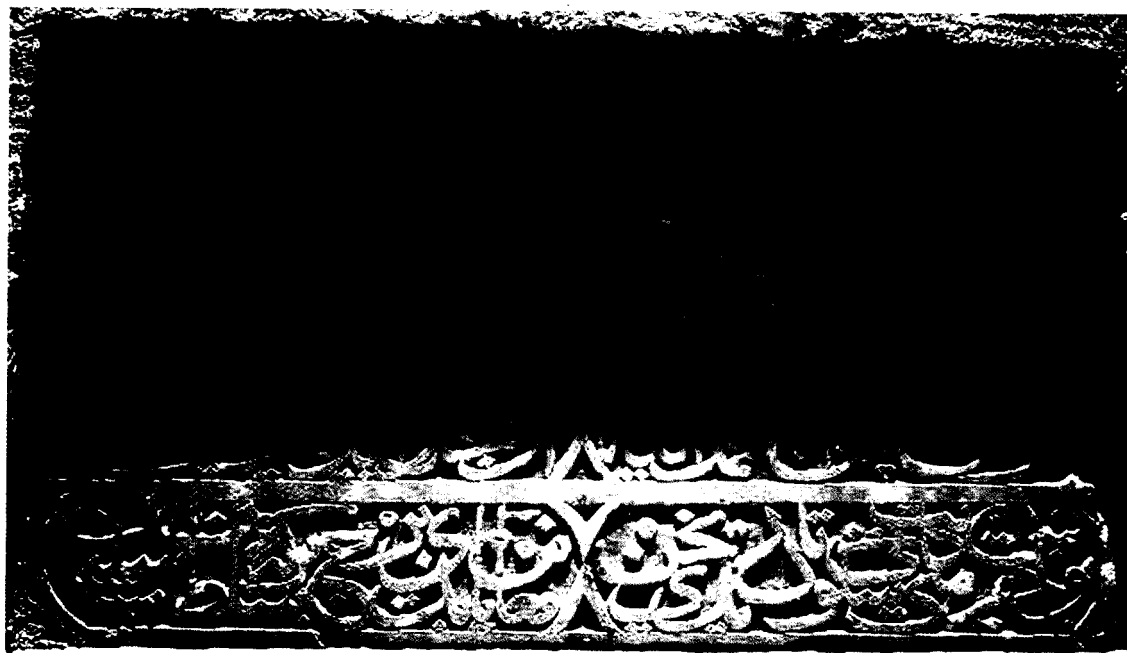
- Bakhit, Muhammad Adnan, *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*. Beirut: Librairie du Liban, 1982.
- Barbir, Karl, *Ottoman Rule in Damascus 1708-1758*. Princeton: Princeton University Press, 1980.
- Ghabban, Ali Ibrahim, Introduction a l'étude Archéologique de Deux Routes Syrienne et Egyptienne, de Pèlerinage au Nord Ouest del "Arabie Saoudite, Thèse de Doctorat d'état, Université de province Aix Marseille I, 1988.
- Wiet, Gaston, *Catalogue général du Musée de l'Art Islamique du Caire. Inscriptions historiques sur pierre*. Cairo: Institute francais d'archéologie orientale, 1971.



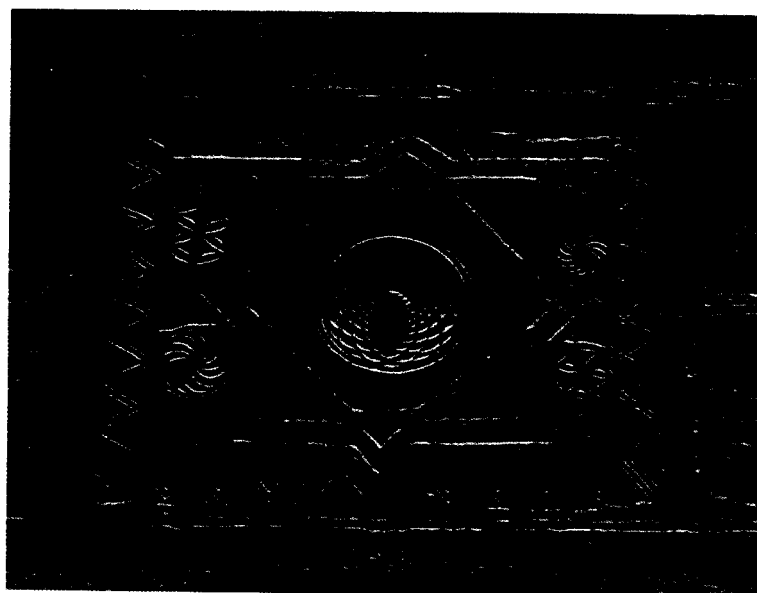
اللوحة ١: تبين المدخل الرئيس والزخارف التي تعلوه.



اللوحة ٢: إحدى الزخارف التي تعلو الباب الرئيس.



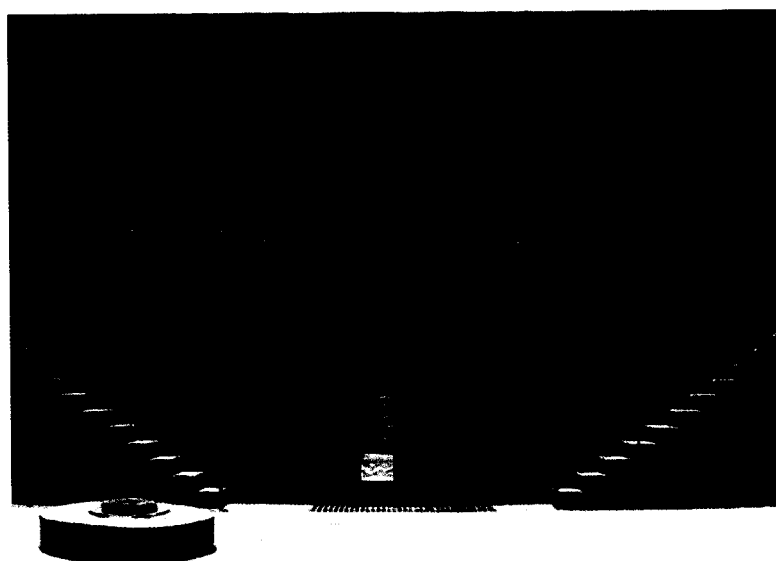
اللوحة ٣: النقش التأسيسي للقلعة.



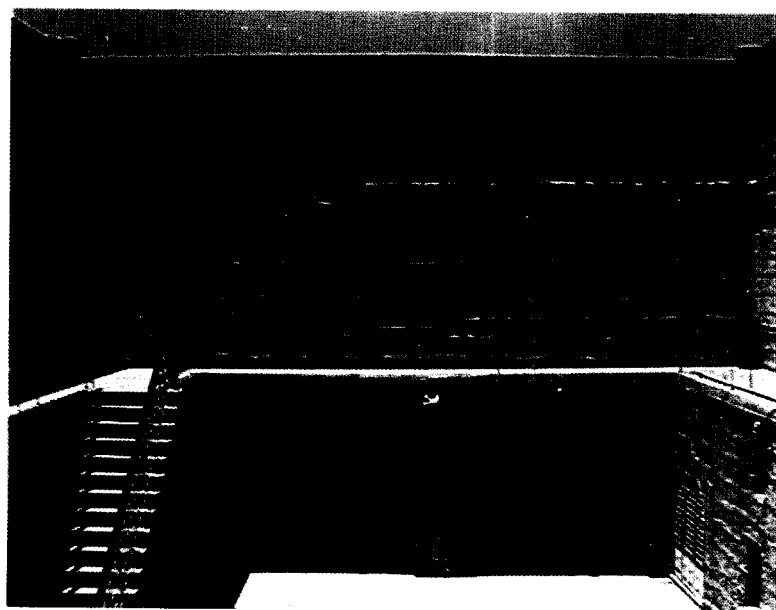
اللوحة ٤: إحدى الزخارف التي تعلو الباب الرئيس.



اللوحة ٥: الباب الجديد (المحدث)



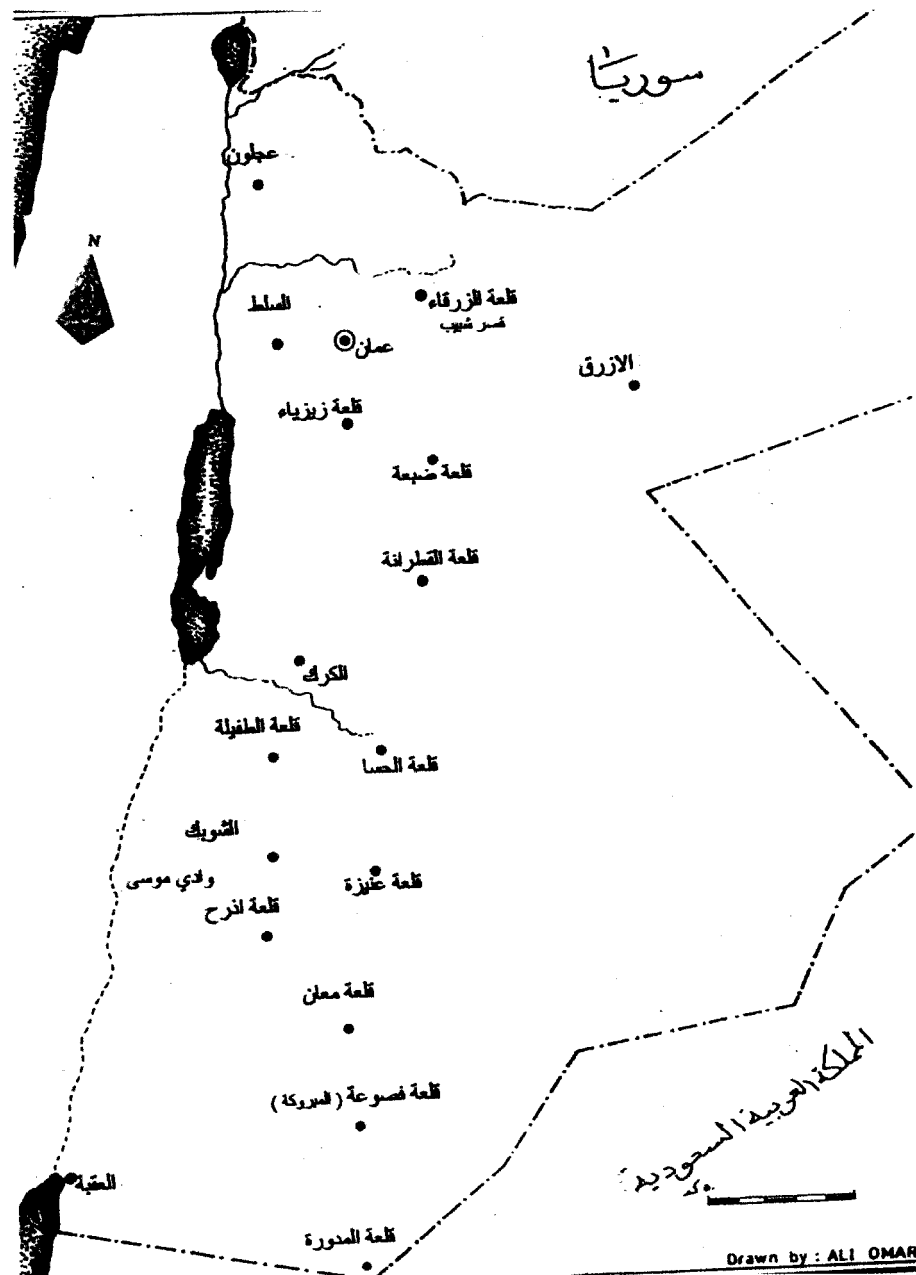
اللوحة ٦: صحن القلعة والباب الرئيس والدرجان الصاعدان إلى الطابق الأول.



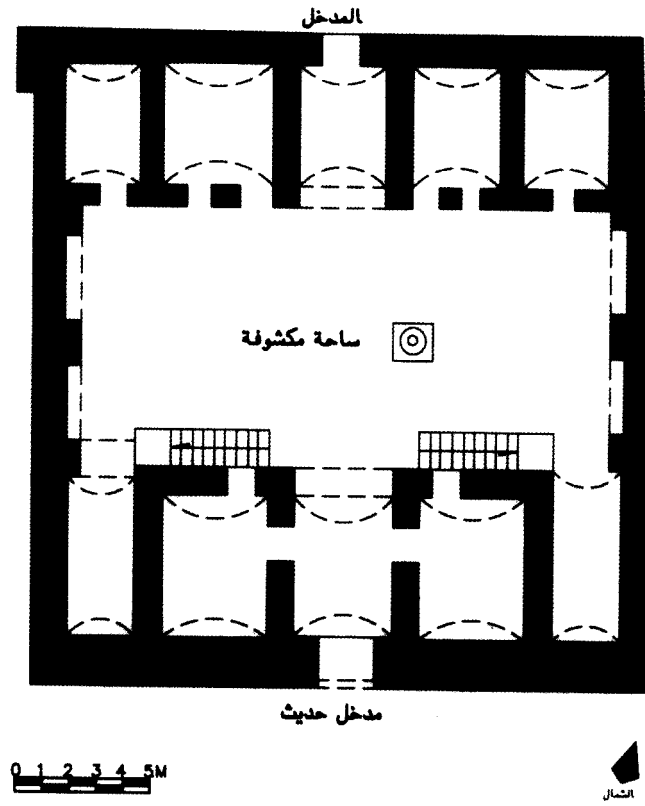
اللوحة ٧: صحن القلعة والدرج الصاعد إلى الطابق الأول.



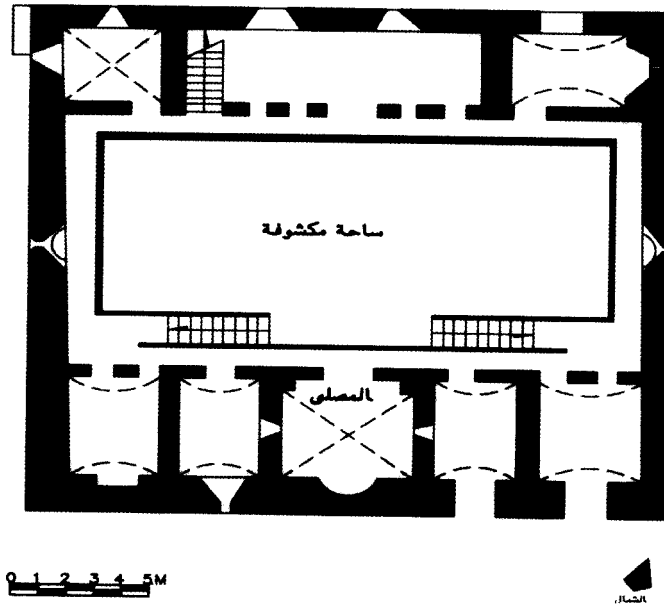
اللوحة ٨: تبين تاريخ بناء القلعة بالأرقام.



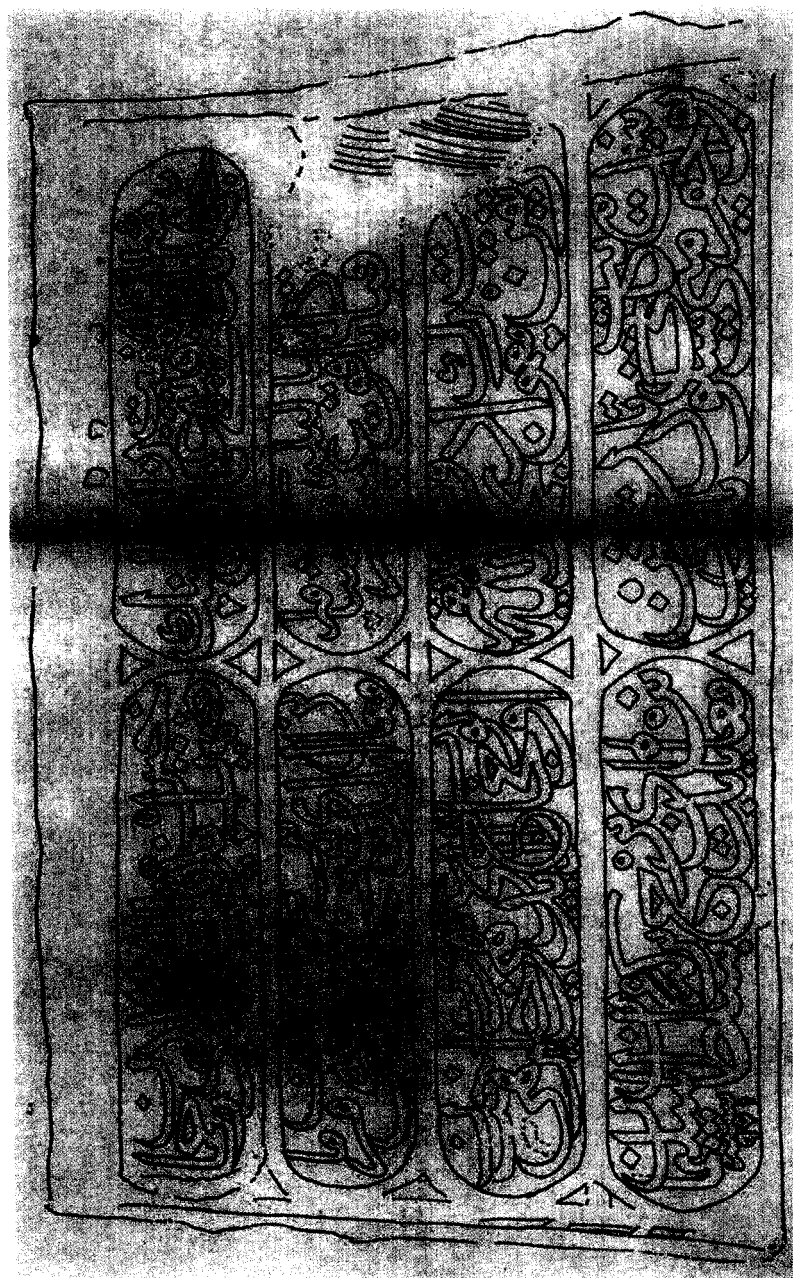
خريطة (١) تبين موقع قلعة معان.



الشكل (أ) المسقط الأفقي للطابق الأرضي لقلعة معان.



الشكل (ب) المسقط الأفقي للطابق الأول لقلعة معان.



الشكل (٢) تفريغ للنقش التأسيسي لقلعة معان.

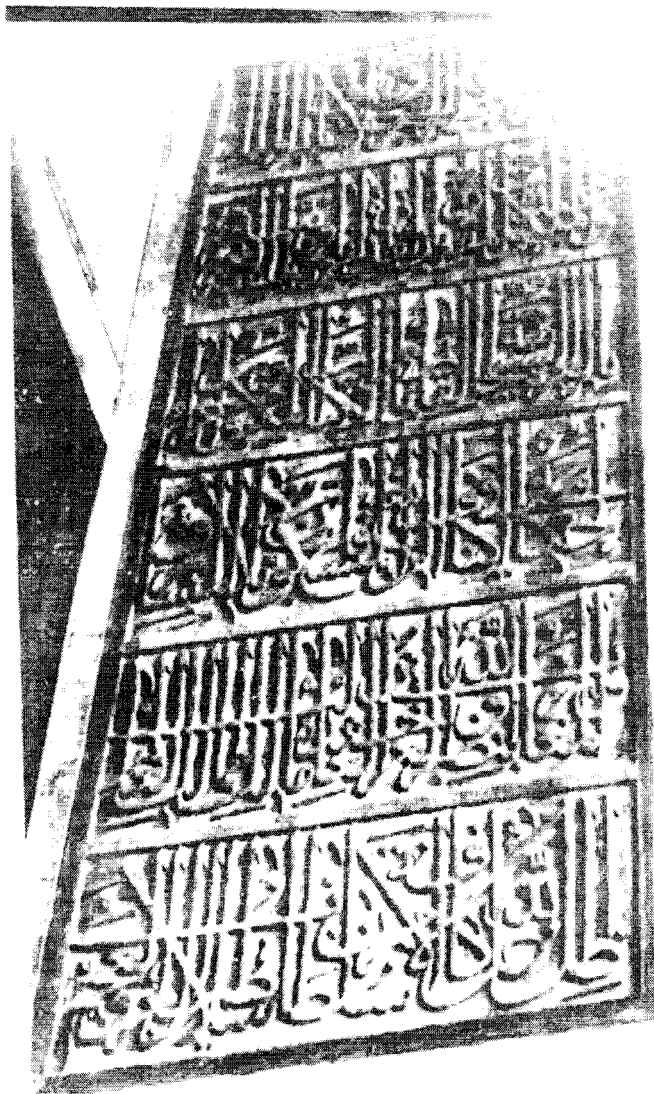
الشروع	الابتدائية		الوسط		النهائية	
	مفرد	مركب	مفرد	مركب	مفرد	مركب
ا	ا	ا			ا	ا
ب	ب	ب	ب	ب	ب	ب
ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
ث	ث	ث	ث	ث	ث	ث
ج	ج	ج	ج	ج	ج	ج
ح	ح	ح	ح	ح	ح	ح
د	د	د	د	د	د	د
ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ	ذ
ر	ر	ر	ر	ر	ر	ر
ز	ز	ز	ز	ز	ز	ز
س	س	س	س	س	س	س
ش	ش	ش	ش	ش	ش	ش
ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص

الشكل (٣) جدول أشكال الحروف

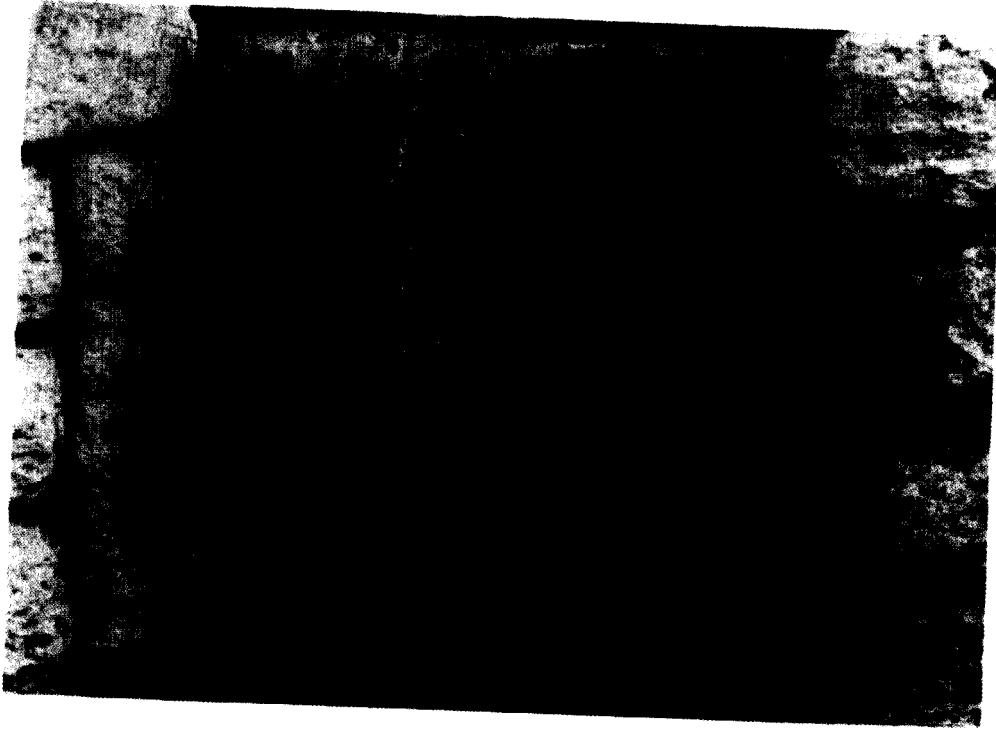
الشروع	الابتدائية		الوسط		النهائية	
	مفرد	مركب	مفرد	مركب	مفرد	مركب
ض	ض	ض	ض	ض	ض	ض
ط	ط	ط	ط	ط	ط	ط
ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ	ظ
ع	ع	ع	ع	ع	ع	ع
غ	غ	غ	غ	غ	غ	غ
ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
و	و	و	و	و	و	و
ي	ي	ي	ي	ي	ي	ي

الله

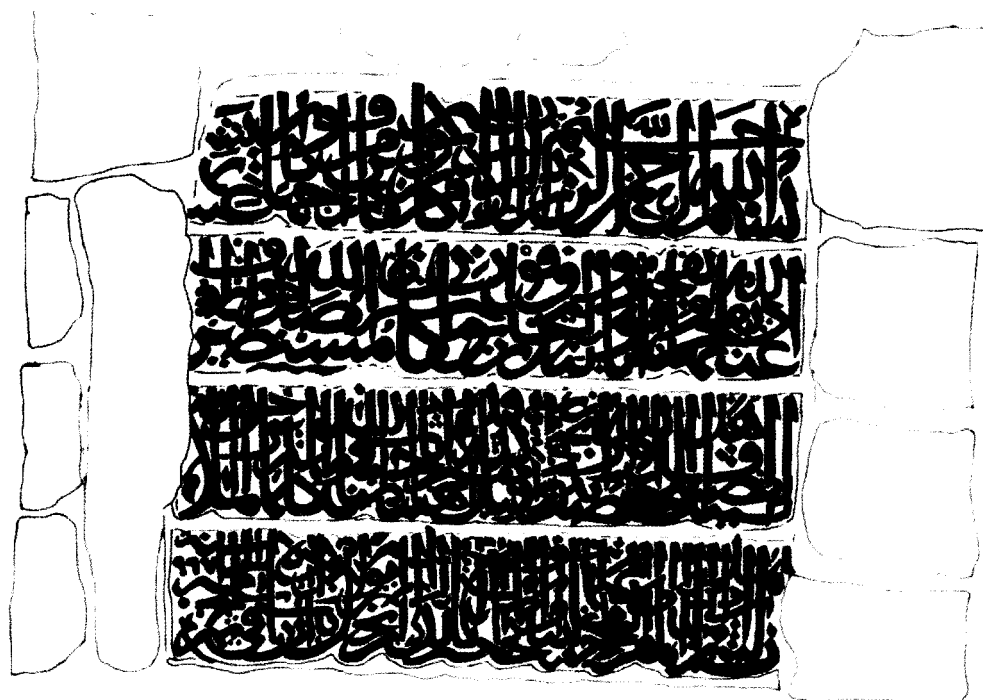
الشكل (٤) جدول أشكال الحروف



الشكل (٥) نقش من جامع سليمان بإسطنبول، أخذ عن الأصل (المسعود ١٩٨١م، ٨٩)



الشكل (٦) نقش من بئر الورادة بالقرب من قلعة مويّح على طريق الحج المصري الساحلي
بالقرب من البحر الأحمر. أخذ عن الأصل (غبان ١٩٩٢م الشكل ٧)



الشكل (٧) رسم مفرغ لنقش بئر الورداء بالقرب من قلعة مويلاج على طريق الحج المصري الساحلي بالقرب من البحر الأحمر. أخذ عن الأصل (غبان ١٩٩٢م الشكل ٩).

An Ottoman Foundation Inscription in the Ottoman Fort of Ma'an, Jordan

Wail M. Rashdan* and Talal B. Muhammad Sha'ban**

ABSTRACT

This paper examines an Ottoman foundation inscription in the fort of Ma'an. The inscription is written in Ottoman Turkish in the name of the Ottoman Sultan Suleiman the Magnificent and is dated to 971 A.H./1563 A.D. This study presents a reading and Arabic translation of the inscription and shows its historical and archaeological significance, as well as analyzing the technical and aesthetic characteristics of the inscription and highlighting the titles, epithets and names that the inscription contains.

KEYWORDS: Ma'an, Ottoman fort, Ottoman inscription, Ottoman history, Jordan

* Faculty of Fine Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

** Faculty of Tourism and Archaeology, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

Received on 19/10/2010 and accepted for publication on 9/1/2011.